دروس من الثورة
الاسلامية في ايران

١

محمد مهدي الآصفي

في علاقة الثورة بالله



دار التعارف
بيروت - لبنان

دروس من الثورة الاسلامية في ايران



في علاقة الثورة بالله

محمّد مهدي الآصفي

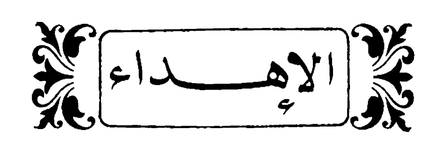
دار التعارف
بيروت - لبنان

هـذا الكتيب هـو نص المحـاضـرة التي أُلقيت في المؤتمـر السنـوي لـرابـطة الشبـاب المسلم في لندن . . والذي عُقـد في الفترة مـا بـين ٨/ نيسـان ـ ١١/ نيسـان ١٩٧٩ م تحت شعـار « الـدعـوة في الإِسـلام » . وكـان المحـاضـر هـو المتحـدّث الـرئيسي في هـذا المؤتمر .



إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ،
وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا .

قرآن كريم



الإهداء

ان قوام كل ثورة : قطرات من الدم ، وقطرات من الدمع ، وقطرات من الحبر .

وإذا كانت الأيام حبستني أن أبذل في الثورة الاسلامية المباركة في إيران قطرات من الدم ، فها هي قطرات من الحبر ، ممزوجة بقطرات من الدمع ، أُهديها الى نائب الامام الحجة (عج) ، وخليفته ، وقائد هذه الامّة ، ورائدها « الامام الخميني » حفظه الله ، الذي اعز الله به الاسلام واعلى به كلمته ، وأنتقم به من الظالمين الذين عاثوا في الارض ، فسادا ، والى أرواح الشهداء الأبرار من الشعب الإيراني المسلم المجاهد البطل . . .

محمد مهدي الآصفي

الثورة الإسلامية المباركة في إيران ، كـانت ثورة مبـاركة بـالمعنى الدقيق والـواسع للكلمـة ، فقد أكسبت هـذه الثورة الـدعاة الى الله تعـالى بفيض من العطاء والتجـارب الخصبـة والدروس والعبر والأفكار والمفاهيم .

ولقد كانت هـذه الدروس والأفكـار والمفاهيم قـائمة في تـراث الدعـوة ، فيما يحكي الله تعـالى لنا ـ نحن الـدعاة الى الله ـ من قصص المـاضين في الصـراع بين الحق والبـاطـل ، وكـانت قائمـة في نفـوس الـدعـاة ووعيهم وقلوبهم ، لكنهـا كانت نظريـات وأفكاراً ، آمنّـا بها إيمـاناً نـظرياً ، فتحـولت هذه النظريـات التي كنا قـد آمنّا بهـا من قبل الى واقـع حي متحـرك ، نلمسه ، ونـراه ، وتملأ نفـوسنا وتعمـر قلوبنـا ، وجسّدته الثورة الإسلامية . ومنحته الحركة والحياة والدم .

وأسـأله تعـالى أن يوفقني في هـذا المؤتمر المبـارك الـذي

شاء الأخوة المؤمنون أن يقيموه تحت شعار (الدعوة الى الله) أن أستخلص لكم أهم هذه الدروس والأفكار والمفاهيم .

* * *

وأول هذه الدروس وأهمها في نظري . . . أننا عرفنا الله نوعاً جديداً من المعرفة .

وأرجو ألا تستغربوا فإن لمعرفة الله تعالى حقولاً وآفاقاً واسعة . . . ومن هذه الآفاق والحقول معيّة الله تعالى للمؤمنين في معركتهم الضارية ضد الكفر .

وليس من شك أن لإحساس المؤمنين بمعيّة الله ونصر الله تعالى لهم قيمة كبيرة في دعم القلّة المؤمنة وشد صفوفهم ودعمهم ورفع معنوياتهم . ويولّد هذا الاحساس لدى الداعية شعوراً بالقوة والإستعلاء في ساحة المعركة ، فهو لا يقاتل وحده ، وإنما يقف في الساحة ويقاتل ، ويهاجم ، ويدافع ، ومعه الله تعالى .

والله تعالى ، في عمق وعي المؤمن وقلبه ، أكبر من أي قوة وأقوى من أي طاغوت مهما بلغت قدرته وشوكته ، والمؤمنون يرددون هذا المفهوم ضمن شعار (الله أكبر) في

كل يوم في صلواتهم عشرات المرات .

وهو يرسخ في نفس الإنسان المؤمن إيماناً لا حد له بعظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وقوته وعزّته وعظمته اللامتناهية ، وتتضاءل أمام هذا الشعار قوة الطغاة وشوكتهم .

فتنقلب العقيدة ، وينقلب الشعار ، وتنقلب الصلاة الى شعور بالقوة والعزّة .

وكذلك كانت الصلاة ، وشعار ، (الله أكبر) في الصلاة تمنح المؤمنين قوة ، وعزة ، وصموداً ، وإستقامة في ساحات المعركة .

فكيف إختفت حيوية هذا الشعار في حياة الأمة اليوم ، وكيف فقدت الصلاة دورها في ساحات القتال . . وكيف أصبحت الصلاة والأذان لا تعني شيئاً في حياة هذه الأمة ، يهابه أعداء الله . . . ان لذلك قصة أريد أن أحكيها لكم : فشل الإستعمار في فصل الدين عن السياسة نظرياً ، على الأقل ، في الاوساط الواعية المؤمنة من المسلمين ، وظلت الطبقة الواعية المؤمنة من هذه الأمة تؤمن بأن السياسة شأن من شؤون الدين ، وأنه في الصميم من الدين .

ولكن مما لا شك فيه أن الاستعمار نجح في فصل العقيدة عن السياسة حى على الصعيد النظري في هذه الأمة .

وفي رأيي أن فصل العقيدة عن السياسة أخطر من فصل الدين عن السياسة .

فأصبح المسلمون يفهمون السياسة بصورة مستقلة تماماً عن الناحية الايمانية والإعتقادية ، ويفهمون العقيدة كذلك بمعزل عن السياسة على شكل حقلين منفصلين .

وكأنّ السياسة تجري في عالم مستقل عن مشيئة الله تعالى ، وفق قوانين ومعادلات بشرية ، وبموجب ميزان القوى السياسية والإقتصادية والعسكرية ، وليس لله تعالى مشيئة وإرادة في عالم السياسة .

ولكي أفتق الجرح الذي تعاني منه الأمة أحب أن أقول : في عقيدة الكثيرين : ان الله تعالى خلق السماوات والأرضين والمجرات والكون الكبير ، وخلق البحار والجبال والأنهار وبأمره تعالى ينزل الغيث وتخضر الأرض وتثمر الأشجار ، وتتقلب الفصول ، وله في كل ذلك الأمر من قبل ومن بعد .

ولكن السياسة تجري حول محور آخر ، هو محور القوتين الأعظمين (كذا) وأحلافهما ، وشبكاتهما التجسسية ، وقواتهما العسكرية ، وقدراتهما الإقتصادية ، وسياستهما ، فإذا اتفقتا فالويل للعالم الثالث منهما ، وإذا إختلفتا فالويل للبشرية . . . وهما الى الوفاق والتفاهم أقرب في الغالب منهما منه الى الإختلاف .

وأما العالم الثالث ، أو ما يسمونه كذلك ، فلا قيمة له في المعادلات السياسية ، ولا يشكل قوّة واعتباراً . وليس للإيمان بالله تعالى وقدرته وقوته وعظمته شأن في هذا العالم ، فهو تعالى القوي المتعال ، ولكن السياسة لها شأنها الخاص ومعادلاتها الخاصة ، ولا دخل لهذه العقيدة في المعادلات السياسية .

هذه هي الحقيقة المرة بكل مرارتها وقسوتها .

وكيف أصبحنا كذلك :

بكل بساطة تعلمنا السياسة في مدرسة الإستعمار وأخذنا نفهم السياسة ونناقشها ونحلل ونفسّر الأحداث السياسية . وأحياناً فيما بيننا نحن المؤمنين . وفي مجالسنا الخاصة بهذه الذهنية .

وهـذه المدرسـة السيـاسيـة التي أثـرت في نفـوسنـا وفي فهمنـا للسياسـة من حيث لا نشعر ، مـدرسة يهـودية قـديمة معــروفـة ، كــانت تـرى أن الله تعــالى لمــا خلق الكـون والانســان ، تخــلّى عن الحكم والقبض والبسط والأمــر في حيــاة النــاس وأصبــح الانســان هــو الـذي يحكم ويقبض ويبسط ويـأمر في حيـاته . يحـدّثنـا عنهم القـرآن الكـريم في سورة المائدة :

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلُت أيديهم ، ولعنـوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ﴾[1] .

وتحـولت هـذه العقيـدة اليهـوديـة القـديمـة الى أسـاس علماني في فهم السياسـة ، وتحليلها ، ومنـاقشتها ، وتـرقب النتائج السياسية والتنبوء بها. ثم تسلّل هذا المفهوم العلمـاني اليهـودي عن السياسـة الى مجتمعنـا الإسـلامي ، وأصبحنـا نتعامل معه كحقيقة ثابتة لا نقاش فيها .

ومن الشواهد عـلى ذلك الأحـداث التي سبقت الدولـة الكريمة المباركة في إيران .

فقـد كنت أتـوخّى أن أفهم رأي المثقفـين الـواعـين من

---

(١) المائدة ، الآية ٦٤ .

المسلمين في خضم الأحداث ، فلم أجد إلا قلّة قليلة كانت واثقة بالنصر ، وأكثر من رأيت من المثقفين كانوا يرون أن الورقة الرابحة لأمريكا على كل حال ، وأن نتائج هذه الحركة لا تتخطى سقوط وزارة وقيام أخرى ، وأن هذه الثورة لا يمكن أن تتجاوز حدود الوفاق الدولي القائم بشأن إيران ، وأن أمريكا لن تتخلّ عن إيران وعن النظام الملكي ، وأن القضية لا تتجاوز محاولة أمريكية لتأديب الشاه وتحجيم سلطاته ، وأن رأس الحبل بيد اليسار ، والمؤمنون هم الضحايا ، وأن مراجع الدين ينقصهم الوعي السياسي وقضيتهم خاسرة بالتأكيد ، وأن ثورة الشارع لا يمكن أن تزعزع أركان النظام الشاهنشاهي العتيد ، وأن هناك لعبة خفية تكشفها الأيام فيما بعد ، وأن أمريكا لا يمكن أن تسكت عن آبار النفط وقواعدها العسكرية الضخمة في إيران ، وأن روسيا لا يمكن أن تسكت عن الغاز ومصالحها في إيران وأنّ ، وأنّ . . .

وهذا كله صحيح ، على إختلاف مذاهب الناس في السياسة ، لو كان الأساس لفهم السياسة : (يد الله مغلولة) . أما عندما ننطلق من منطلق : (بل يداه مبسوطتان) فإن الأمر يختلف تماماً ، والمعادلات السياسية وموازين القوى تتطاير ، ويتضاءل دورها وقيمتها .

ولست أريد أن أناقش ، ولست بصدد أن أنتقد ، وأرى أن هذه الحالة الذهنية هي نتيجة الإحتكاك المستمر بالصحافة والإذاعة العلمانيين ، وإنما أريد أن نتلافى ما سبق بتكوين ذهنية إسلامية قرآنية في فهم السياسة .

ولسوف نرى ، إن شاء الله ، أن القرآن يشبع هذه القضية ، ويتناولها بكل دقة وإستيعاب من أطرافها ، ويصنع منها نظرية متكاملة الأطراف .

وحينما يستعرض المؤمن الداعية آيات القرآن الكريم بهذا الصدد ، ويضعها في اطارها ، ويربط بينها يعجب كيف غفل عن هذه الحقيقة التي يعطيها القرآن الكريم كل هذا التأكيد .

* * *

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الآيات الإعتقادية التي نتلوها في كتاب الله ، والتي يربط القرآن الكريم فيها كل شيء في هذا الكون بمشيئة الله تعالى ، وأن الأمر له من قبل ومن بعد ، ولا يعزب عن علمه شيء ، ولا يخرج عن قبضة سلطانه خارج ، ووسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم . . . فإن

ذلك حديث يطول أمره وإنما أدخل مباشرة ، فيماوعد الله تعالى به المؤمنين من النصر ، وأنه تعالى لن يتخلّ عنهم في صراعهم مع الباطل ، وأن قوة الباطل وشوكته وسلطانه لن تؤثر في نتيجة المعركة بحال من الأحوال ، ولن تحول دون نصر الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ، ويثَبت أقدامكم﴾ [١] .

﴿ إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ [٢] .

﴿ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ﴾ [٣]

﴿ ولينصرنَ الله من ينصره ان الله لقوي عزيز﴾ [٤] .

﴿ بل الله مولاكم ، وهو خير الناصرين﴾ [٥] .

---

(١) محمد ، الآية ٧

(٢) غافر ، الآية ٥١ .

(٣) التوبة ، الآية ١٤

(٤) الحج ، الآية ٤٠ .

(٥) آل عمران ، الآية ١٥٠ .

﴿وإن تـولوا فـاعلموا أنَ الله مـولاكم ، نعم المـولى ، ونعم النصير﴾ [1]

﴿واعتصموا بالله ، هـو مولاكم ، فنعم المـولى ، ونعم النصير﴾ [2]

﴿ فإنَ حزب الله ، هم الغالبون ﴾ [3]

﴿وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴾ [4]

﴿وكفى بربَك هادياً ونصيراً ﴾ [5]

﴿ كم مَن فئـة قليلة غلبت فئـة كثيـــرة بـإذن الله ، والله مع الصابرين ﴾ [6] .

﴿فإنّ مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً ﴾ [7] .

---

(١) الأنفال ، الآية ٤٠ .
(٢) الحج ، الآية ٧٨ .
(٣) المائدة ، الآية ٥٦ .
(٤) النساء ، الآية ٤٥ .
(٥) الفرقان ، الآية ٣١ .
(٦) البقرة ، الآية ٢٤٩ .
(٧) الإنشراح ، الآية ٥ ـ ٦ .

﴿ والـذين جاهـدوا فينا لنهـدينهم سبلنـا ، وإنّ الله لمـع المحسنين ﴾ [1]

ويقسم الله تعالى لنبيه أنه لم يتخلّ عنه :

﴿ والضحى ، والليـل إذا سجى ما ودّعـك ربـك ومـا قلى ﴾ [2]

ويجعل الله تعالى نصر المؤمنين حقاً عليه عز وجل :

﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾ [3] .

﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ [4] .

﴿ ولقـد سبقت كلمتنـا لعبـادنـا المـرسلين ، إنهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [5] .

ولكي تكون القضية حيّـة تعيش في حياة الـدعاة يـذكر لهم القـرآن الكريـم نمـاذج من تـاريـخ الصـراع بـين الحق

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩ .

(٢) الضحى ، الآيات ، ١، ٢، ٣

(٣) المجادلة ، الآية ٢١ .

(٤) الروم ، الآية ٤٧ .

(٥) الصافات ، الآيات ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

والباطل ، حيث تقف الاحـزاب امام حـزب الله ، ويواجـه انصـار الطاغـوت انصار الله تعـالى ، ويعلن هـذا الانسـان الضعيف الحرب مع الله تعالى ، ويكيد ويمكر بحزب الله .

وينـظر الإنسان الى هـذا التقابـل في المكر والكيـد بـين الله تعـالى القوي العـزيز ، وخلقـه الطغـاة الضعفـاء ، فـلا يملك نفسـه من أن يبتسم ، ولا يتـردد لحـظة واحـدة في نتيجة هذه المقابلة :

﴿ ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾[1] .

﴿ ذلكم ، وأنَّ الله موهن كيد الكافرين ﴾[2] .

﴿ والله غـالب عـلى أمـره ، ولكنّ أكـثر النـاس لا يعلمون ﴾[3] .

ثم يذكر تعالى لعباده امثلة وشـواهد من نصـره لانبيائـه وعباده الصالحين في حربهم وصراعهم مع الطاغوت :

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴾[4] .

---

(١) الأنفال ، الآية ٣٠ .

(٢) الأنفال ،الآية ١٨.

(٣) يوسف ، الآية ٢١

(٤) هود ، الآية ، ٥٨ .

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه ﴾[1] .

﴿ ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه ﴾[2] .

وعن أنصار المسيح ـ عليه السلام ـ يقول تعالى :

﴿ فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم ، فأصبحوا ظاهرين ﴾[3] .

ثم يذكّر النبي (ص) والمؤمنين بما سبق من تأييد الله تعالى له وللمؤمنين في صراعهم المرير مع المشركين :

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾[4] .

﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ، مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيّدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[5] .

﴿ إلّا تنصروه ، فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين

---

(١) هود ، الآية ٦٦ .
(٢) هود ، الآية ٩٤ .
(٣) الصف ، الآية ١٤ .
(٤) الأنفال ، الآية ٦٢ .
(٥) الأنفال ، الآية ٢٦ .

كفروا ثاني إثنين ، إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إنّ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيّده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا﴾ (١) .

﴿ولقد نصركم الله ببدر ، وأنتم أذلة﴾ (٢) .

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ (٣) .

هذه هي الحقيقة الربانية الكبرى التي كدنا أن ننساها او نسيناها بالفعل ، لولا رحمة الله ، فكاد المؤمنون أن يتصوروا أنهم في ساحة الصراع مع الكفر ، وحدهم ، وقد كان الله معهم في مواقفهم حين البأس ، وفي ساعات المحنة ، وداخل الزنزانات ، وكان الله معهم في غرف التعذيب ، وبعين الله كانوا يتحملون العذاب والاضطهاد .

وليت المؤمنون كانوا يعلمون أن عذابهم بعين الله الرحيمة ، وأن الله لو شاء لاوقف قلوب معذبيهم وشلّ

---

(١) التوبة ، الآية ٤٠ .
(٢) آل عمران ، الآية ٢٣ .
(٣) التوبة ، الآية ٢٥ .

ايـديهم ، وأعمى عيـونهم عنهم ، وأن اليـد التي تعصـر قلوبهم يـد أرحم الراحمـين ، وأنهم يألمـون ويضجون بسمـع الله ، ويتحملون السيـاط بعين الله ، إلّا ان ذلـك خـير لهم لـو كانـوا يعلمون وان اعـدائهم يتعذبـون ، ويعـانـون كـما يعـانـون ، وتعتصـر الآلام قلوبهم ، كـما تعتصـر قلوبهم ، ويفقـدون اعزتهم كـما يفقـدون . وتلك سنـة الله في الـذين آمنـوا والذين كفـروا وشاقـوا الله ورسولـه من غـير فـرق الا انكم ترجون من الله مـا لا يرجـون ، وتجدون من نصـر الله تعالى وتأييده ، مالا يجدون .

﴿إن تكـونـوا تـألمـون ، فـإنّهم يـألمـون كـما تـألمـون ، وترجون من الله ما لا يرجون﴾[1] .

وأن طـريق ذات الشوكـة الذي أراده الله تعـالى لهم الى النصر خير لهم من أن يأتيهم النصر غنيمة باردة رخيصة .

﴿ وتـودون أن غير ذات الشـوكة تكـون لكم ، ويريـد الله أن يحق الحق بكلماته ، ويقـطع دابر الكـافرين ، ليحق الحقّ ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون﴾[2] .

---

(١) النساء ، الآية ١٠٤ .

(٢) الأنفال ، الآية ٧ ـ ٨ .

وان نصر الله تعالى ليس ببعيد عنهم لو أنهم صبروا .

﴿ **ألا إنّ نصر الله قريب** ﴾[1] .

* * *

وتسأل كيف ينصر الله الفئة القليلة الفقيرة الضعيفة على الفئة الكثيرة الغنية القوية ، على خلاف ما يتصوره الناس في موازين القوى ، والمعادلات السياسية ، والحسابات العسكرية والإقتصادية .

وجواب القرآن الكريم واضح وبسيط ، ليس فيه تعقيد الموازنات السياسية المعاصرة ، والتي تعلّمناها ، وتعودناها ، رغماً منا ، إن الجواب بسيط بساطة التوحيد ، وأن في التوحيد جواب واضح لكل هذه التساؤلات .

ونرجع الى القرآن الكريم مرة أخرى ، لنلمس الخطوط التفصيلية لهذا القانون :

إن أهمّ عناصر النصر أربعة : القوّة . المال . التسديد . التثبيت .

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

وإن فئة آتاها الله تعالى هذه العناصر الأربعة ، لا يجري شيء بينها وبين النصر .

ولنستعرض . هذه العناصر الأربعة في كتاب الله :

* * *

والعنصر الأول القوّة :

وهي التي تملأ عيون الناس ، قبل كل شيء ، وتوجه أذهانهم وأفكارهم وسلوكهم . فإذا وثقنا ، وآمنا بمعية الله تعالى للقلة المؤمنة ، فلن تعوزها بعد ذلك قوة .

فإن ما في السماوات والأرض جند لله تعالى ، يأتمر بأمره ، وينتهي بنهيه ، ولا يشذ عن ذلك خلق في السماء او الأرض .

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾[1] .

﴿ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[2] .

---

(١) الفتح ، الآية ٤ .
(٢) الفتح ، الآية ٧ .

﴿ وما يعلم جنود ربِّك الاّ هو ﴾ [1] .

فالبحار جند لله ، تضطرب بأمر الله ، وتسكن بأمر الله ، فإذا جاء أمر الله تعالى ، فلا تذر أحداً من الظالمين ، وإستمع إليه تعالى يحكي لنا قصة فرعون وجنده :

﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض ، بغير الحق ، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ، فأخذناه وجنوده ، فنبذناهم في اليمّ ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾ [2] .

﴿ فأتبعهم فرعون بجنوده ، فغشيهم من اليمّ ما غشيهم ﴾ [3]

ولله جند من امطار السماء وينابيع الأرض ، فإذا أذن الله لها أمطرت ، وتفجرت ، وتموجت الأرض بها ، وأغرقت من كان فيها من الظالمين . فاستمع إليه تعالى في قصةِ نوح :

﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ، فكذّبوا عبدنا ، وقالوا

---

(١) المدثر ، الآية ٣١ .

(٢) القصص ، الآيات ـ ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) طه الآية ٧٨ .

مجنون وازدُجرْ . فدعا ربه: أني مغلوب فانتصر ، ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجَّرنا الأرض عيوناً ، فالتقى الماء على أمرٍ قد قُدِر . . ولقد تركناها آية فهل من مدّكر ﴾[1] .

ولله جنود من الريح ، لا تبقي ولا تذر ، إذا أذن لها الله تعالى :

﴿ كذبت عادُ ، فكيف كان عذابي ونُذُر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر ، تنزع الناس ، كأنهم اعجاز نخل منقعر ، فكيف كان عذابي ونذر ﴾[2] .

وإن من جند الله الصيحة ، وما أدراك ما الصيحة ، أرسلها الله على ثمود فجعلهم كهشيم المحتَظر .

﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة ، فكانوا كهشيم المحتظر ﴾[3] .

---

(1) القمر ، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٥

(2) القمر ، ١٨ ، ٢١ .

(3) القمر ، الآية ٣١ .

وارسلها الله تعالى على قوم شعيب ، بعد أن أنجى شعيباً والذين آمنوا معه .

﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يغنوا فيها ، ألا بعداً لمدين ، كما بَعِدَتْ ثمود﴾(1)

ولله جنود من الحجارة ، تمطرها السماء ، إذا أذن الله تعالى لها . هلك بها قوم لوط :

﴿فلما جاء امرنا ، جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضودٍ ، مُسوَّمةً عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾(2) .

ولله تعالى جنود من الطير ، يرسلها على الظالمين متى شاء :

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم في تضليل ، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول﴾(3) .

---

(1) هود ، الآية ٩٤ ، ٩٥ .
(2) هود ، الآية ٨٢ ، ٨٣ .
(3) سورة الفيل .

ولله تعالى جنود من القمل، والضفادع، والجراد، والطوفان، يرسلها متى يشاء على الظالمين :

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان، والجراد والقمَّل، والضفادع﴾[1] .

ولله جند من الصاعقة يرسلها متى شاء . وقد أرسلها على ثمود :

﴿فعتوا عن أمر ربهم، فأخذتهم الصاعقة، وهم ينظرون﴾[2] .

ولله جنود من الملائكة، لا نراها، تدخل مع الفئة القليلة في المعركة وتدافع عنها، وتحفظها بأمر الله . كما أمر الله الملائكة في معركة بدر أن ينزلوا ساحة القتال الى جانب المسلمين :

﴿إذ يوحي ربُّك الى الملائكة إني معكم، فثبتوا الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب، فأضربوا فوق الأعناق، وأضربوا منهم كل بنان﴾[3] .

---

(١) الأعراف، الآية ١٣٣ .

(٢) الذاريات، الآية ٤٤ .

(٣) الأنفال، الآية ١٣ .

وما أروع هذا الإمداد الإلهي في المعركة . يرسل الملائكة مع المؤمنين ، ثم ينبؤهم أنه معهم ، فتتلاحم هذه المعية الزدوجة في مشهد إيماني رائع ، في ساحة القتال ، معية الملائكة للمؤمنين ، ومعية الله تعالى للملائكة .

وكيف تتكافأ أطراف هذه المعركة ، والله والملائكة ، وجند الله من الأرض والسماء مع الفئة القليلة ، وليس مع الفئة الكثيرة إلا نفر ضعاف ، وحفنة من مال وحفنة من الأسلحة .

وهذه هي القوة التي يحسب الناس لها كل حساب في المعادلات السياسية .

وهل يتصور الناس قوة أعظم من هذه القوة ، وجنداً أقوى من جند الله ، وسلطاناً أقوى من سلطان الله .

ومع ذلك فإننا نسقط في كثير من الأحيان حساب هذه القوة الكبرى في الكون من المعادلات السياسية ، عندما نفكر في السياسة ، ونحلل الأحداث ، ونتنبأ بالمستقبل ، ونحسب لمستقبل الدعوة حسابها .

* * *

العنصر الثاني .

المـال فمهـما تكن الفئـة الكثيـرة غنيّـة ، تملك نـاصيـة الذهب والفضة ، فإن القليلة تتمتع بتأييد الله تعالى :

﴿ ولله خزائن السماوات والأرض ، ولكنَّ المنافقين لا يفقهون ﴾(١) .

ولقد كان المنـافقون يتصـورون أنهم لو حـاربوا الـدعاة في أرزاقهم ، وقـطعـوا عنهم المـال تنضـب الـدعـوة في نفـوسهم ، وتنقـطع عـلاقتهم بـالـدعـوة ، وذلـك في اطـار تصوراتهم المادية الغبية الضحلة .

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا عـلى من عند رسـول الله حتى ينفضّوا ﴾(٢) .

فيرد الله تعالى عليهم :

﴿ ولله خـزائن السمـاوات والأرض ولكن المنافـقين لا يفقهون ﴾ .



(١) المنافقون ، الآية ، ٧ .

(٢) المنافقون ، الآية ٧ .

العنصر الثالث التسديد والتعليم والهداية :

ثم ماذا تحتاج الفئة القليلة بعد القوة والمال ؟ إنها تحتاج الى التسديد والتعليم والهداية ، لتعلم ماذا تعمل ؟ وكيف تتحرك ؟ وكيف تدعوا الناس الى الله تعالى ؟ ومتى تختفي ؟ ومتى تظهر ؟ ومتى تتكلم بهمس ؟ ومتى تصرخ بالحق جهاراً ؟ ومتى تتجنب الموجة ؟ ومتى تتصدى للموجة ؟ ومتى تواجه الطغاة بعنف وقوة ؟ ومتى تكلمهم برفق ولين ؟ ومتى تتحمل الظلم وتصبر ؟ ومتى تتصدى وتقاتل ؟ وكيف تتعامل مع الناس ؟ وكيف تجتذب الفارين من الله تعالى الى الله ؟ وكيف تداري الناس ؟ وكيف تدعوا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؟ وكيف تتصرف تجاه الأحداث ؟ وفي ظلال الطغيان تصمد وتصبر أم تهاجر وتفر بدينها ؟ ومتى تنزوي داخل البيوت ؟ ومتى تخرج الى الشارع ؟ ومتى تعلن الحرب وتفجر الشارع ؟ وكيف تنظم الناس ؟ وكيف تستقطبهم الى جانبها ؟ وكيف تكسب الرأي العام لصالحها ؟ ومتى تظهر للناس مظلومةً مضطهدةً ؟ ومتى تظهر قويةً عزيزةً ؟ وكيف تقاتل ؟ وكيف تعدّ للقتال ؟ وكيف تخطط للمواجهة والحرب ؟ وكيف تلقي الرعب في قلوب الأعداء ؟ وكيف تمكر بهم ؟ وكيف

تستأصلهم ؟ . . الى اخر هذه التساؤلات .

ولا شك أن هذا كله علم قائم بالذات ، علم الدعوة ، ونور يلقيه الله في نفوس الدعاة اليه ، يمشون به في الناس ، ويتعاملون به مع الناس ، ولا شك أن على الدعاة الى الله تعالى أن يكتسبوا هذا العلم ، ويتزودوا بتجارب من قبلهم ، ولا شك أنهم في حركتهم الكبرى في التاريخ يصيبون الهدف حيناً ، ويخطأون آخر ، وأن أعداء الاسلام في المقابل يفرّغون لهذه المهمة في حركتهم المعادية لله ولرسوله ، اجهزةً واشخاصاً ودراسات واسعة .

ولا بد للقلة المؤمنة أن تتفرغ لهذا الجانب وتعطيه اهتمامها ، كما لا بد لها أن تولي جانب القوة والمال أيضاً اهتمامها ، ولا تتركهما للصدفة . .

ولكن ، مما لا شك فيه ، مع ذلك كله ، أن الله تعالى لن يترك القلة المؤمنة لجهدها وعملها في هذا الحقل فقط ، ولن تتخلّ عنهم المعية الإلهية في التسديد والتعليم ، كما لم تتخلّ عنهم في ساحات القتال . والقرآن الكريم صرح في ذلك :

﴿ **وكفى بربك هادياً ونصيراً** ﴾[1] .

---

(١) الفرقان ، الاية ٣١ .

﴿ والـذين جاهـدوا فينا لنهـدينهم سبلنـا ، وإن الله لمـع المحسنين﴾ [١] .

وكل ما يحتاجه الداعيـة في حركتـه هو ان يشـير عليه احـد بالـرأي الصحيح ويـدليـه ، ويسـدده في الـرأي ، ثم يضم يده الى يده ، وقوته الى قوته ، ويعينـه على حمـل ما لا يـطيق من حمله ومسؤ وليـاتــه وقـد ضمن الله لــه كـلاً من هذين الامرين : « الدلالة » و« العـون » . فضمن تعالى لـه الدلالة : لنهدينهم سبلنا والعون :

﴿ وإن الله لمع المحسنين﴾ .

ويرزق الله تعالى الـدعاة إليـه عز وجـل نوراً يمشـون به في الناس ، يعرفون كيف يتعاملون مـع الناس من أعـدائهم وأصـدقائهم ، والمتفـرجين عـلى الطرفـين ، وكيف يتعاملون مع القلوب ، والعواطف ، والعقـول في الوقت الـذي يسلب تعالى هذا النور من القلوب الكافرة .

﴿ أومَنْ كان مَيْتاً فأحْيَيْنَاه ، وجعلنا لَهُ نـوراً يَمْشي به في النـاس ، كَمَنْ مَثَله في الـظلمـات ، ليس بخـارج منهـا ،

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩

كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴾[1] .

* * *

والعنصر الرابع :

من عناصر النصر التثبيت والثقة بالنصر ، وارتفاع الحالة المعنوية في نفوس الدعاة . وهذه الأمور من خصائص الدعاة المؤمنين بالله . والنفوس المؤمنة هي وحدها التي يمنحها الله تعالى الثقة ، والطمأنينة ، والسكينة ، والإستقرار ، والثبات .

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ، ليزدادوا إيماناً ﴾[2] .

﴿ فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[3] .

﴿ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾[4] .

---

(١) الأنعام ، الآية ، ١٢٢ .

(٢) الفتح ، الآية ٤ .

(٣) الفتح ، الآية ١٨

(٤) التوبة ، الآية ٢٦ .

وهـذه هي السكينـة التي تمنـح الإنسـان إستقـراراً في النفس ، وسكـونـاً لهـا من القلق والإضـطراب ، في أحـرج ساعات المحنة .

وبالإضافة الى ذلك فإن الله تعالى يمنح المؤمنين الـدعاة ثبـاتاً عـلى أرض المعـركـة ، وثبـاتـاً في المـوقف ، وثبـاتـاً في الإيمـان ، وثباتـاً في القول ، وثبـاتـاً في الـدنيـا ، وثبـاتـاً في الآخرة .

﴿يثبت الله الذين آمنوا بـالقول الثـابت في الحياة الـدنيا وفي الآخرة﴾[1] .

﴿يـا أيها الـذين آمنوا إن تنصـروا الله ينصـركم ويثبت أقدامكم﴾[2] .

وليس هـذا فحسب ، وإنما يـربط القلوب أيضاً . فـإن القلوب تضعف في سـاعـة المحنـة ، ويتسـرب إليـهـا الضعف ، إذا قست المحنـة وطالت ، فيتسـاقط فيهـا أكـثر الناس قوة واستقامة ، الا المؤمنين ، فإن الله تعالى يربط على قلوبهم .

---

(١) ابراهيم ، الآية ٢٧ .
(٢) محمد ، الآية ٧ .

﴿وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام﴾ [1] .

فما أروع القلوب المؤمنة في ساعات المحنة ، وفي ساحات القتال ، وداخل زنزانات السجون ، وتحت سياط الجلادين . . . ثابتة مطمئنةً ، مرتبطةً بالله ، ساكنةً ، مستقرةً ، كأنها قدت من زبر الحديد ، وما قيمة الحديد تجاه صلابتهم واستقرار قلوبهم .

ومن أوضح الحقائق وابسطها أنّ اصحاب هذه القلوب لا يتخطاهم النصر ، مهما طالت محنتهم وتعاظمت .

وفي قبال هذه القلوب قلوب المنافقين والكافرين والطغاة ، فإنها في قمة سطوتها ، واستكبارها ، وتطاولها على الله ورسوله . . . ضعيفة ، مهزوزة ، مرعوبة ، يساورها القلق ، ولا يفارقها الخوف والإضطراب .

﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله﴾ [2] .

﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فآتاهم الله

---

(١) الانفال ، الآية ١١ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٥١ .

من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين . فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾[١] .

ولقد حسب هؤلاء اليهود كل حساب ، وحصنوا حصونهم وفق هذه الحسابات ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، من داخل قلوبهم ، فأدخلها الرعب ، وهزمهم من حيث لم يكونوا يحتسبون .

ويصف القرآن الكريم حال هؤلاء المهزومين من المنافقين وصفاً رائعاً في حالتي الخوف والأمن :

﴿أشحة عليكم ، فإذا جاء الخوف ، رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ﴾[٢] .

تلك الحالة النفسية لكل من المعسكرين ، معسكر الدعاة الى الله ، ومعسكر أعداء الله ورسوله .

❊ ❊ ❊

وليس ينبغي أن يخطر على بال أحد أن الأمر قد إختلف في عصرنا ، عما كان عليه من العصور السابقة ،

---

(١) الحشر ، الآية ٢ .

(٢) الأحزاب ، الآية ١٩

فإن الصراع بين موسى عليه السلام وفرعون ، وبين نوح وقومه ، وإبراهيم وقومه ، ورسول الله (ص) وقريش واليهود . . . كان محفوفاً بالنصر للمؤمنين وقد صدق الله وعده ، حيث كانت الوسائل في الحرب والسلم متكافئة .

أما اليوم ، وقد تسلح الطغاة بآخر ما إستحدثه الإنسان من الأسلحة المدمرة والفتاكة ، وإنتزعوا كل شيء من أيدي المؤمنين ، وفرضوا سلطانهم وقوتهم على كل جوانب الحياة ، واستوعبوا كل مداخل حياة الناس ، ومساربها ، ومخارجها ، وسلبوا عنهم كل قوة وصلاحية . . . فلم يبق مجال للتحرك ، ولم يبق أمل في النصر .

وكيف ترى تتحول هذه القوة العملاقة الى ايدي المؤمنين الدعاة الى الله ! وكيف يتخلص المؤمنون من أخطبوط أجهزة الأمن والإستخبارات التي تضيق عليهم الخناق وتكاد أن تحصي عليهم أنفاسهم ؟

إن أقصى قوة فرعون كانت في أن يطلب من السحرة أن يتحدّوا بسِحرهم موسى عليه السلام ، وأن يصنع له هامان برجاً ليصعد عليه ويرى آله موسى ، وإن أقصى قوة نمرود كانت في أن يصنع ناراً ليحرق فيها إبراهيم عليه

السلام ، وإن اقصى قوة أبي جهل كانت في حفنة من الأوباش يحيطون به ، ويأتمرون بأمره .

وأما طغاة عصرنا فهم يحصون على الناس أنفاسهم ، ويملكون من الأسلحة الفتاكة ما لا تُبقي ولا تذر ، ومن الأنظمة العسكرية والأمنية والحزبية المعقدة ، ما لم يكن يخطر على بال الدعاة في العصور الأولى .

وجوابي على هذه الشبهة ، وهي مع الأسف شبهة عميقة في النفوس ، وإن كانت تبدو ضحلة وبسيطه . . . جوابي عليها شاهد من عصرنا ودليل من كتاب الله .

أما الشاهد من عصرنا فهو تحول القوة من طاغية ايران ونظامه الرهيب ، الذي كان يضرب به المثل ، الى أيدي الدعاة ، وإنهيار الحصون والقلاع الأمنية ، والعسكرية ، والإقتصادية ، والإستعمارية التي كانت تحميه في أقل من سنة .

وأما الدليل من كتاب الله ، وهو الأصل والأساس :

﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ، ليخرجوك منها ، وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً . سنة من قد

أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلاً ﴾[1] .

﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾[2] .

﴿ ولن تجد لسنّة الله تحويلاً ﴾[3] .

فلن تتبدل سنة الله تعالى في نصر عباده المؤمنين ، وهزيمة الطغاة الجبارين ، ولن تتغير هذه السنّة ، ولن تتحول ، ولن يؤثر عليها مرور الزمن . . . إنها سنّة الله ، ثابتة ، مستقرة ، وليست صدفة ، أو خاصة من خصائص الزمان ، تحدث مرّة أو مرتين ، ثم تنقطع .

إنها سنّة ، كما أن إختلاف الفصول في السنة سُنَّة ، وكما أن شروق الشمس وغروبها سنّة ، وكما أن نزول الأمطار على الأرض سنة ، وكما أن إختلاف ألسنَة الناس سُنّة .

إن سنن الله لن تتغير ، ولن تتبدل ، وهي جزء من حقائق هذا الكون الكبير ، أودعها الله تعالى فيه إيداعاً ثابتاً .

* * *

---

(١) الإسراء ، الآية ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) الأحزاب ، الآية ٦٢ .

(٣) فاطر ، الآية ، ٤٣ .

تلك هي حقيقة النصر الإلهي للقلّة المؤمنة على وجه الأرض ، وكما ترون أن المماراة في هذه الحقيقة والتشكيك فيها ، مع الإلتفات ، مماراة في كتاب الله ، وتشكيك في التوحيد .

فقد توخيت في هذا الحديث أن لا أتجاوز حدود كتاب الله الذي يتفق عليه المسلمون جميعاً ، ولا يشك فيه إلا مشكوك في إيمانه . وقد رأينا أن القرآن الكريم يعد القلّة بالنصر ، وعداً مؤكداً من الله ، والله تعالى لا يخلف وعده ، ومن أصدق من الله قيلا .

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض ، كما إستخلف الذين من قبلهم ، وليمكّنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلّنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾[١] .

ذلك وعد من الله ، ثابت ، مذكور في كتاب الله :

﴿وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلا﴾[٢] .

---

(١) النور ، الآية ٥٥ .

(٢) النساء ، الآية ١٢٢ .

﴿**فاصبر إن وعد الله حق ، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾[1] .

وبذلك فإن الإيمان بالنصر من التصديق بوعد الله ، والتصديق بوعد الله من الايمان بالله .

وهكذا نرى ببساطة : أن الايمان بالنصر وتدخل المشيئة الإلهية لتحويل مجرى الأحداث السياسية والعسكرية والإقتصادية لصالح الفئة القليلة من المؤمنين . . . جزء جوهري من عقيدتنا ، وأساس من أسس ايماننا بالله تعالى .

ولا نستطيع نحن بحال من الأحوال أن نفصل بين عقيدتنا والسياسة .

إن فصل العقيدة والايمان بالله عن السياسة ، وتياراتها الجارفة ، ومعادلاتها المعقدة جاءت في فترة غفلة من هذه الأمة ، ومع كل الأسف أن الناس إستسلموا له سلوكياً ونظرياً أيضاً ، وهو موضع المأساة والجرح . وكما سبق أن ذكرت : ان الجرح الذي تركه فصل الدين عن السياسة في

---

(١) الروم ، الآية ٦٠ .

جسم الأمة لم يكن بعمق وخطر الجرح الذي تركه فصل العقيدة عن السياسة في حياة أمتنا .

وذلك أن الفصل الثاني يمتد بطبيعته الى عمق النظرية والمفهوم والذهنية الإسلامية ، بينما إقتصر عمق المأساة الأولى على حال المسلمين في ممارساتهم الإجتماعية والسياسية ، بفعل الظروف السياسية القاهرة ، وسلمت لهم مع ذلك عقيدتهم وذهنيّتهم ، في نطاق الطبقة الواعية من هذه الأمة .

* * *

فما هي شروط النصر :

إن وعد الله تعالى بالنصر قاطع لا يتردد فيه مؤمن ، مهما قست الظروف ، وإمتدت المحنة ، ولكن الوعد الرباني يتحقق عند توفر الشروط التي يطلبها الله تعالى منا .

فنحن نلتقي أولاً بقوله تعالى :

﴿ ونُريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ، ونجعلهم أئمة ، ونجعلهم الوارثين ، ونمّكن لهم في

الأرض ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [1] .

فهي مشيئة إلهية قاطعة ، ويا لها من مشيئة مباركة . منٌّ على المستضعفين من الرجال والنساء والأولاد ، وتحويلُ القوة والسلطان الى هؤلاء المستضعفين من أيدي الجبابرة والطغاة ، وتمكين لهم في الأرض ، ثم الشماتة بالطغاة والجبابرة الذين كانوا يتحكمون من قبل في دماء المسلمين وأعراضهم ويستكبرون في الأرض .

انه الإنقلاب الحقيقي في ميزان القوى ، وفي أمر الامامة والقيادة في الأرض انه اراده الله : (ونريد)

ولكن إرادة الله تعالى لها شروطها . ومن لطائف التعبير والسياق في القرآن الكريم فصل القضايا عن شروطها أحياناً ليبعث في نفوس المسلمين الامل ، وفي آية أخرى من كتاب الله نقرأ الوعد الالهي بالتفصيل ونقرأ شروطه بالإجمال :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحات ليستخلفّنهم في الأرض ، كما إستخلف الذين من قبلهم ،

---

(١) القصص ، الآية ٥، ٦ .

وليمكننَّ لهم دينهم الذي إرتضى لهم ، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني ،لا يشركون بي شيئاً﴾[1] .

وهذه الآية الكريمة تجمل الشروط في الإيمان والعمل الصالح :

ولا شك أن الإيمان هو الشرط الأول ، وهو الأساس والقاعدة لكل جوانب الشخصية المؤمنة الداعية ، وهو المنطلق لأفكاره ومفاهيمه وقيمه وسلوكه .

والنصر لا يشذ عن هذه القاعدة . فإن الإيمان بالله تعالى يمنح الإنسان المؤمن الثقة ، والقوة ، والتوازن ، والطمأنينة ، والسكينة ، وهي أهم القضايا في تحقيق النصر ، ولا يتحقق شيء من ذلك من دون الإيمان بالله .

يقول تعالى ، فيما يثبت به فؤاد الفئة القليلة المؤمنة ، بعد نكسة أُحُد :

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ، إن كنتم مؤمنين﴾[2] .

---

(١) النور ، الآية ٥٥ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٣٩ .

والإستعلاء الحقيقي يتحقق عندما تكون الأمة مؤمنة ، وما عدا ذلك بطر ، ورئاء ، وغرور ، وباطل .

ويخاطب عزّ وجلّ المشركين من قريش ، بقوله :

﴿ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ، ولو كثرت ، وأنَّ الله مع المؤمنين﴾[1] .

* * *

والشرط الثاني العمل :

وهو شرط متشعب كثير الأطراف ومن أهم صفاته التقوى ، وهو إلتزام حدود الله تعالى . وقد يستغرب بعض الناس الذين لم يألفوا الفكر الإسلامي ، ولم يأنسوا بالقرآن الكريم أن يكون التقوى وإلتزام حدود الله تعالى في الحلال والحرام شرط من أهم شروط النصر . ويتساءل وما صلة الذنوب والمعاصي ، سيما لو كانت خارج حقل العمل والدعوة بالنصر ؟

إن الذهنية الأوروبية تقف مستفهمة عن علاقة التقوى بالنصر ، ولا تفهم أن تكون هناك صلة بين هذا

---

(١) الأنفال ، الآية١٩ .

وذاك ولكن الذهنية الإسلامية التي بلورها القرآن الكريم لا يستطيع أن يفصل بين أطراف الشخصية ، ولا يستطيع أن يفصل بين علاقة الانسان بربه وعلاقته بالناس وعلاقته بالأشخاص وعلاقته بساحة القتال . . . إنها في النظرية الإسلامية كل مرتبط ، فإذا تفكك بعضه تهدم سائره ، والقرآن الكريم صريح وواضح في ذلك :

﴿واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين﴾(١) .

فمعية الله للمؤمنين مشروطة بالتقوى :

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ (٢) .

﴿واعلموا إن الله مع المتقين﴾ (٣)

﴿فاصبروا إن العاقبة للمتقين﴾(٤) .

﴿والله ولي المتقين﴾ (٥) .

---

(١) البقرة ، الآية ١٩٤ .
(٢) الأعراف ، الآية ١٢٨ .
(٣) التوبة ، الآية ٣٦ .
(٤) هود ، الآية ٤٩ .
(٥) الجاثية ، الآية ١٩ .

فالشرط الذي يجب أن يتصف به الداعية الى الله تعالى بعد الإيمان : التقوى ، وأي تهاون في ذلك أو تسامح في حدود الله وحلاله وحرامه يسلب عنه صفة الداعية المؤمن ، ويخرجه من حظيرة الدعاة الى الله تعالى .

إن التقوى اخواني (دار حصن عزيز ، والفسوق دار حصن ذليل) ، فالتقوى تحمي صاحبه في حصن منيع من الشيطان ووساوسه ، ومن أهواء نفسه وشهواته ، وهي الخطوة الأولى من النصر فإن ميدان الداعية الأول نفسه ، فإذا أنجز مهمته في هذا الميدان ، واطمأن من نفسه ، وجاهد نفسه تقع عليه مسؤولية الدائرة الصغيرة من الجهاد .

ومن عجب أن تكون ساحة الحياة والصراع القائم بين الكفر والايمان هي الدائرة الصغيرة لجهاد المؤمن ، وساحة النفس ، والصراع القائم فيها بين التقوى والفجور ، هي الدائرة الكبرى لجهاد المؤمن .

* * *

وصفة أخرى للعمل ، **الإخلاص** :

فإنما يعمل الداعية لله ، ويقاتل لله ، ويتحمل ما

يلاقيه في طريقه من العنت والعذاب لله . . . وهذا الشرط روح عمل الداعية ، وجوهر قيمة عمله . فإذا أدخل الشيطان في نفسه حب الدنيا والنزوع الى شأن من شؤون الدنيا ، وأفقده الإخلاص في عمله ، فقد تمكن الشيطان من مصادرة عمله كله .

والله تعالى حيث يعد عباده الصالحين بالمعية الالهية والهداية يشترط أن يكون الجهاد من أجله تعالى وفي سبيل مرضاته عز وجلّ .

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾(١) .

ويحذرنا تعالىٰ أن نكون نحن كالذين يخرجون من ديارهم بطراً ، ورئاء الناس ، إبتغاء متاع من متاع الحياة الدنيا من سلطان ، ومال ، وشأن غيره .

﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم ، بطراً ، ورئاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط﴾(٢) .

* * *

---

(١) العنكبوت ، الآية ٦٩ .

(٢) الأنفال ، الآية ٤٧ .

الصفة الثالثة والرابعة الصبر والصلاة :

﴿ إستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ﴾[1] .

وهما من أهم شرائط العمل . فإن العمل في سبيل الله تعامل مزدوج في آن واحد مع الله ومع الناس .

وتعامل الداعية مع الله صلاة ، ومع الناس صبر .

ولا بد له من أن يذكر الله تعالى ويكون على ذكر دائم ، وصلة دائمة بربه عز وجلّ ، وأن يفزع الى الله بالدعاء فيما تعتري طريقه من عقبات ، ومشاكل ، وعوائق ، تعوق تقدم الدعوة الى الله ، وفيما يوسوس الشيطان في نفسه . وهذا اللجوء الى الله (: الصلاة) يمنح المؤمن قوة ، وثقة ، ويمدّه بإمداد متصل من ربه عز وجلّ ، في طريقه الشائك .

واستمع معي الى طرف من أدعية الدعاة الى الله من الأنبياء وعباد الله الصالحين ، فيما كان يُلمُّ بهم من متاعب وصعوبات في طريق ذات الشوكة :

---

(١) البقرة ، الآية ١٥٣ .

﴿ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾[1] .

وبإزاء تهديد فرعون يتضرع السحرة الى ربهم بعد ان آمنوا :

﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلمين﴾[2] .

ويفزع قوم موسى الى ربهم في محنتهم بفرعون :

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجِّنا برحمتك من القوم الكافرين﴾[3] .

﴿ربنا أتمم لنا نورنا، واغفر لنا ، انك على كل شيء قدير﴾[4] .

وهذا هو الطرف الأول : (الصلاة) . والطرف الآخر التعامل مع الناس : (الصبر) . إن الصبر تعامل مع الناس ، ومع حقائق هذا الكون ، وسنن الله تعالى في هذه الأرض .

---

(١) الاعراف ، الآية ٨٩ .
(٢) الأعراف ، الآية ١٢٦ .
(٣) يونس ، الآيات ٨٥ ، ٨٦ .
(٤) التحريم ، الآية ، ٨ .

فإن لله سنن في أرضه ، وفي حياة النّاس ، وفي مسير التاريخ ، وما لم يعرف الداعية هذه السنن ، ولا يعرف مداخلها ومخارجها ، وكيف يتعامل معها ، فإنه يفشل في أداء مهمته .

إن الفرد ، والمجتمع ، والعقول ، والعواطف ، والإقتصاد ، والسياسة ، والحكم ، والرأي العام ، والحركة ، والثورة ، والمال ، والإدارة ، والتاريخ . . . وكل ما يتصل بعالم الإنسان يخضع لسنن إلهية ثابتة ، كما تخضع الأشياء للسنن والقوانين الإلهية ، وكما تخضع الجاذبية ، والكهرباء ، والبخار ، وطبقات الأرض ، وتكَون الجبال ، والبحار ، والجزر ، والمد ، ونبات الأرض ، لنواميس وقوانين إلهية ثابتة ، كذلك عالم الإنسان بكل تعقيداته .

وما لم يعرف الداعية سنن الله تعالى في حياة الإنسان ، والتاريخ ، والفرد ، والمجتمع لا يستطيع أن يؤدي مهمته الأداء الحسن المناسب ، فإذا عرف هذه السنن ، وأحسن معرفتها بما آتاه الله من نور ، وبما يكتسب من تجربة وخبرة في حياته العملية وخبرات وتجارب العاملين والمجاهدين من قبله . . فلا بد أن يصبر

على هذه السنن ، ويعترف بها ، ويعطي للزمان حقه ولمراحل العمل حقها الثابت .

فإن الفشل أقرب شيء الى الداعية ، لو لم يحاول أن يعرف سنن الله في حياة الإنسان ، أو حاول أن يعاكس التيار ، ويخترق السنن ، ويتجاوز مراحل العمل ، ويتناسى دور الزمن ، ويتجاهل أنه يتعامل مع انسان آخر له إرادته ، ورغبته ، وشخصيته ، وتتحكم في تكوينه وشخصيته سنن إلهية ثابتة . . . تماماً كما يفشل الفلاح ، لو أنه لم يعرف متى يزرع ، وأين يزرع ، ومتى يحصد . فإذا تغافل عن سنن الله في وقت الزرع أو وقت الحصاد أو مكان الزرع ، فإنه لا يجني من عمله غير الخسران .

وفي رأيي أن الدعاة الى الله تعالى لا بد أن يلموا المامة كافية كاملة بتاريخ الدعاة الى الله تعالى ، وممارساتهم ، في حياتهم ، ومع الناس ، منذ نبي الله نوح عليه السلام الى عصرنا ، وبصورة خاصة لا بد أن يلمّوا إلمامة كافية بسيرة رسول الله (ص) ، ليعرفوا سنن العمل قبل كل شيء . ولا بد أن يعيشوا مع الناس ، ويتعاملوا مع الناس ، ويقرأوا ويسمعوا ، ويعملوا في صفوف الناس ، ليعرفوا عن كثب سنن الله تعالى في حياة الإنسان . . .

ثم لا بـد أن يتزودوا بعـد ذلك ، بـالصبر في التعـامـل مع الناس ، والصبر في مواجهة الظالمين ، والصبر في تـوعية المسلمـين ، والصبـر في تحـريكهم ، وإعـداد العـدّة المـاديـة والمعنـوية لكـل ذلك ، وتحمُّـل متـاعب الـطريق ، وإعـطاء الزمن دوره ، والإعتراف بـالزمن كعامل أساسي - في سنن الحياة - لنجاح العمل وتقدمه ، والصبر عـلى أخلاق النـاس وكـلامهم ، والصبـر عـلى طـول الـطريق وبعـد الشُّقـة ، والصبر على الأسلوب ، والصبر على المـرحلة ، والصبر عـلى تحـديات الـظالمين ، والثبـات ، والإعـداد ، والإستقـامـة ، والإستمرار ، والنفس الطويل الواثق في العمل .

وطبيعي أن هذه المراحـل الشاقـة من العمل والصبـر ، لا يمكن أن يجتازها الـداعية وحـده . فالـطريق أبعد من أن يقطعها الداعية الى الله وحـده ، والحمل أثقـل من أن يحمله الداعية وحـده ، فلا بـد من أن يكون مـع الله ، ليكون الله معـه ، وليخفف عنـه ثقـل العمـل ، ويقـرِّب لـه الـطريق الطويل . . .

ولا بـد له إذنْ من الصـلاة ، ولا بـد من أن يفـزع الى الله ، ليكـون معه في الـطريق الشائـك ، ولا بـد أن يقتـرن الصبـر بـالصـلاة ، ليصـل الغـايـة في مسيـره ، بمعيـة الله تعالى .

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾[1] .

فإذا إستقام الدعاة الى الله تعالى ، وصبروا ، فإن النصر لن يتخطاهم ، ورحمة الله تعالى لن تعدوه .

﴿إنّ الذين قالوا ربنا الله ، ثم إستقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة : ألّا تخافوا ولا تحزنوا﴾[2] .

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ، فلا خوف عليهم﴾[3] .

واقرأ معي كيف يؤدب الله تعالى نبيه ويعلمه ألا يستعجل في طريق الدعوة ، ويتعلم الصبر ممن سبقه من أولي العزم من الأنبياء :

﴿فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾[4] .

ومن قوم موسى المستضعفين جعل الله تعالى أئمة

---

(١) البقرة ، الآية ١٥٣ .

(٢) فصلت ، الآية ٣٠ .

(٣) الاحقاف ، الآية ١٣ .

(٤) الاحقاف ، الآية ٣٥ .

وقادة أورثهم سلطان فرعون بما صبروا :

﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا** ﴾[1] .

ويأمر الله تعالى رسوله (ص) أن يتّبع ما يوحى إليه ، ويصبر مع قومه ، وينتظر حكم الله :

﴿ **واتبع ما يوحى إليك ، واصبر ، حتى يحكم الله** ﴾[2] :

وأحوج ما يكون الداعية الى الصبر عندما تطول المحنة ، وتقسو ، فيستخفه الذين لا يوقنون بالله :

﴿ **فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون** ﴾[3] .

* * *

وحبذا لو توقفنا لحظات عند هذه النقطة من البحث ، فهي من أهم النقاط التي يعاني منها المؤمنون الدعاة ، على إختلاف شعوبهم ، وأوساطهم ، في هذه الفترة القاسية ،

---

(١) السجدة ، الآية ٢٤ .

(٢) يونس ، الآية ، ١٠٩ .

(٣) الروم ، الآية ٦٠ .

من تاريخهم ، ويحتاج فيها المؤمنون الى وعي إعتقادي لطبيعة المرحلة القاسية التي يمرون فيها . ونشير بهذا الصدد الى نقطتين مهمتين :

١ - إن فترة الإبتلاء قد تطول على المؤمنين ، وقد تكون قصيرة ، وطول الفترة وقصرها يخضع لمستوى الإيمان والعمل الذي تقدمه الأمة المؤمنة ، ولقوانين إلهية أخرى لا نعرفها ، وقد تقسو المحنة والفتنة بالمؤمنين ، وعادة تعتبر هذه القسوة مخاضاً للنصر ، تنتبه خلالها الأمة ، القطاعات الواسعة من الأمة ، وتستقطب فيها الطلائع المؤمنة المجاهدة عطف الأمة وثقتها خلال هذه المحنة . والأمة تمنح عطفها وثقتها للعاملين في حالة المحنة ، أكثر مما تعطيها في حالة اليسر والرخاء .

ومخاض النصر (المحنة) قد يكون قاسياً على المؤمنين ، ليس عليهم فحسب ، وإنما على ذويهم أيضاً ، من آبائهم ، وأمهاتهم ، وزوجاتهم ، وأبنائهم ، وأقاربهم الآخرين .

وقبل ان نسترسل في إكمال الموضوع أود أن ألفت نظر المؤمنين الى ضرورة وأهمية الإعداد الداخلي لأسرهم وعوائلهم ، فإن المحنة لا تكاد تصيبهم وحدهم ، وانما

تصيب عوائلهم واسرهم ايضا ، فان كانوا لم يعدوا من قبل أفراد اسرتهم لمثل هذه الفترات القاسية فإن خطر التساقط والإنهيار في داخل أفراد العائلة المؤمنة ليس ببعيد ، وطبعاً لا نريد أن نغفل عنصر الإمداد الإلهي الغيبي للعوائل والأسر الممتحنة ، في معنوياتها ، وحياتها المادية ، ولكن ذلك لا يعني أن الداعية لا يعد أفراد أسرته لمثل هذه الحالات القاسية التي تمر عليهم من قبل ، ليحميهم من التساقط والإنهيار ، فإن الفتنة سيف ذو حدين ، وسلم يصعد منه ناس الى الله ، ويهبط منه آخرون الى الشيطان .

فلكي تكون هذه المحنة في حياة العاملين وأسرهم سلَماً صاعداً لا بد أن يتفرغوا لإعداد عوائلهم وأسرهم ، إعداداً داخلياً ، قوياً ، من قبل .

ونقطع الحديث عن هذه النقطة ونعود مرة أخرى الى صلب الموضوع فأقول : إن فترة المحنة قد تطول وتقسو ، ولكن لا ينبغي أن تتناول المحنة إيمان العاملين في سبيل الله بالنصر والتأييد الإلهي في حال من الأحوال ، فإن النصر الإلهي حقيقة إيمانية في نفس الداعية ، وحقيقة كونية في مشيئة الله تعالى ، لن تتبدّل ، ولن تتغير .

وقد يعيش العاملون في سبيل الله في ذروة محنة من هذه المحن القاسية التي مرت على الأنبياء ، والمرسلين ، وعباد الله الصالحين ، وجرت بعد ذلك سنّة ثابتة لله ، فيكاد الشيطان أن يمس إيمانه بالنصر ، ويزلزل من ثباته وثقته بالله وهو لا يعلم أن النصر قريب وشيك منه ، وقد يكون في اللحظات الأخيرة من مخاضه العظيم .

﴿مستهم البأساء والضّراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه : متى نصر الله ؟ ألا إنّ نصر الله قريب﴾[1] .

ويحدثنا القرآن الكريم عن السُنة الإلهية في حياة العاملين في توقيت النصر ، وضخامة الفتنة والمحنة ، قبل النصر ، وفي حال مخاضه ، فيقول :

﴿حتى إذا استيأس الرسل ، وظنوا أنهم قد كُذِّبوا جاءهم نصرنا﴾[2] .

قد يكون النصر قريباً من المؤمنين ، ولكن الله تعالى أخفى علمه عنهم لحكمة له تعالى في ذلك ، وقد يكون

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

(٢) يوسف ، الآية ١١٠ .

النصر حاصل بين عشية وضحاها ، ولكن الله تعالى حجب علمه عن المؤمنين ليمتحنهم في محنتهم . فلا ينبغي إذن أن تنال المحنة من إيمان العاملين وثقتهم بالنصر ، ولا ينبغي أن يتسرب اليأس الى روحهم في حال من الأحوال .

﴿ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[1] .

٢ ـ إن حالة المخاض ، وهي المحنة ، في حسابات البشرية طريق الى النصر ، وفي حساب الله تعالى غاية قائمة بذاتها ، بل هي غاية الغايات ، في تكامل المؤمنين العاملين .

إن هذه المحن قد تطول ، وتقسو ، ليعلم الله تعالى ـ وهو العالم ـ الذين جاهدوا من المؤمنين ، والذين صبروا تحت وطأة المحنة .

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾[2] .

---

(١) يوسف ، الآية ، ٨٧ .

(٢) آل عمران ، الآية ١٧٩ .

فإن الإسلام في حياة الناس فصل وفرقان بين الحق والباطل ، وفصل وتمييز بين الخبيث والطيب ، ولا يفرّق بين الطيب والخبيث ، ولا يميزهما عن بعض امر افضل من هذه المحن التي تتعرض لها الأمة ، فيصعد قوم ، ويهبط قوم آخرون ، ومن هذا الصراع بين الحق والباطل ، وبين جبهة التوحيد والشرك ، فيطيب قوم ، ويخبث آخرون .

إذن فهذه المحن هي السلّم الإلهي لتكامل المسلمين العاملين في سبيل الله ، وطريق الكمال طريق شائك وعسير ، ولا يتكامل المؤمن في الرخاء واليسر ، وانما يتكامل في العسر والفتنة والمحنة .

انه يتكامل تحت السياط والتعذيب وفي ظروف الهجرة القاسية ، اكثر مما يتكامل في اي وقت آخر .

ويئن العاملون تحت وطأة المحنة ، ويستغيثون ، وكل ذلك بعين الله تعالى وسمعه .

ولقد قلت من قبل : لو ان الداعية كان يعلم ان اليد التي تعصر قلبه يد ارحم الراحمين لخفّت عليه المحنة ، وهان عليه ان ينشر بالمناشير ، اذا كان ذلك بعين الله ، وبإرادته ، ورضاه ، وفي سبيل مرضاته ، وطريقه الذي يسلكه الى الله تعالى .

فهذه المحن هي الطريق الى الجنة ، وهي المدارج التي يصعدها الداعية لتزكية نفسه وتطهيرها ، وتكميل نفسه ،

والقرآن الكريم صريح وواضح في هذه الحقيقة ، ايما صراحة ووضوح :

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ويعلم الصابرين﴾[1] .

﴿أم حسبتم أن تتركوا، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً ، والله خبير بما تعملون﴾[2] .

انها لسذاجة في نفوس الناس أن يتصوروا أن الجنة ، بمنازلها الرفيعة ميسرة لكل أحد صام وصلّى ، دون أن يمتحنه الله في إيمانه ، ويعلم المجاهدين منهم والصابرين .

وأنها سُنَّة لله تعالى قديمة ، فلن تشذ هذه الأمة عن الأمم السابقة ، ولن يشذ الدعاة في عصرنا ، فيما يتعرضون له من محن وفتن عن الأنبياء ، والأولياء ، وعباد الله الصالحين ، والمجاهدين من قبل ، فيما مسّهم من البأساء والضراء .

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثَلُ الذين

---

(١) آل عمران ، الآية ١٤٢ .

(٢) التوبة ، الآية ١٦ .

خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء﴾ [1] .

ولو أن العاملين كانوا يعلمون بموقعهم من الله ، وما يحيطهم من رحمة الله ، وهم في ظروف المحنة القاسية ، ولو كانوا يعلمون وهم ثابتون ، لا يتزلزل لهم قلب ، تحت وطأة المحنة : إن ملائكة الله تتباهى بهم ، وتهنؤهم ، لخفت المحنة عليهم ، وآثروا أن تقطع أعضاؤهم في سبيل الله وتدوم بهم هذه المحنة حتى يأذن الله .

ولو أنهم كانوا يعلمون أن هذه المحن القاسية التي يمرون بها هي النصر الحقيقي لهم ، وهي تعدهم للغاية التي من أجلها خلقوا ، وتسلك بهم سبيلاً صُعُداً الى الجنة لم تثقل المحنة عليهم .

إن الغاية والنصر الحقيقي في حساب الله هي هذه المحن ، إذا خرج منها المؤمنون العاملون منتصرون ، لم يتزلزلوا ، ولم يضطرب لهم قلب ، وأما النصر في الساحة فهو فرحة فقط . وشتان ما بين حساباتنا وحسابات الله تعالى .

---

(١) البقرة ، الآية ٢١٤ .

واستمعوا معي الى هذه الآية المباركة من كتاب الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم ، وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ، إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين﴾ (١) .

ونقف وقفة قصيرة عند هذه الآية المباركة . . . إن الفوز العظيم هو المغفرة والجنة التي تجري من تحتها الأنهار والمساكن الطيبة في جنات عدن ، والطريق إلى هذا الفوز الإيمان والجهاد بكل متاعبه ومشاقه وببذل الأنفسْ والأموال . ذلك الخير ، ذلك الفوز ، ذلك النصر .

وأما الفتح فهو الذين نحبه نحن ، ونفرح به ، وهو حاصل بالتأكيد ، وهو قريب ، ويبشرنا بها الله تعالى :

﴿ نصر من الله ، وفتح قريب ، وبشّر المؤمنين﴾ (٢) .

---

(١) الصف ، الآيات : ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) الصف ، الآية ١٣ .

ولا ينبغي أن نشك فيه ، ولا يخلف الله وعده ، ولكن الفوز العظيم غيره . إنه حالة مخاض النصر ، انه الغاية من المخاض ، والنتيجة من النصر .

ولست أريد ان اقول أن ما يكسبه العاملون في فترة المخاض لا تقل عما يكتسبه العاملون في حالة النصر ، بل أن الفوز العظيم في المخاض ، وما النصر الا فرحة ، يحبها المؤمنون ، ويبشرنا بها الله تعالى .

وقد قلت من قبل ، إن المحنة سلَّم صاعد ونازل ، وكما يصعد منه ناس بتوفيق الله ، يهبط منه ناس بإغواء الشيطان ، ولا يفارق تأييد الله تعالى القلة المؤمنة في محنتهم ، ولكنها على كل حال قاسية وصعبة ، وبحاجة الى كثير من الصبر ، والتوأدة ، والثبات ، وذكر الله كثيراً ، فإن ذكر الله يبعث الطمأنينة والسكينة في القلوب .

﴿الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(١) .

كما أن معايشة الأنبياء والمرسلين والدعاة الى الله تعالى من السلف الصالح في حياتهم ومحنتهم ، تبعث الطمأنينة

---

(١) الرعد ، الآية ٢٨ .

والثبات في القلوب . ولقد كان الله تعالى ، يثبّت فؤاد نبيه صلّى الله عليه وآله بما يحكى له من قصصهم ومحنهم وثباتهم على القول الحق :

﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[1] .

❋ ❋ ❋

وبعد فقد جاء النصر ، والحمد لله ، في رقعة مباركة من رقاع العالم الإسلامي العريض ، وحقق الله وعده ، وله الحمد ملء السماوات والأرضين ، وعدد أنفاس الخلائق ، وله الشكر فوق شكر الشاكرين ، وكما يحب تعالى ويرضى .

جاء النصر في هذه الرقعة الإسلامية بعد مخاض ، قاس ، شديد ، ومحنة قاسية ، ثبت فيها أناس ، ولله الحمد ، وتساقط فيها آخرون ، ونستغفر الله ، وثبت فيها المؤمنون حيناً ، ولله الحمد ، وزلزلوا فيها حيناً ، ونستغفر الله . ولسوف يتوالى النصر ، إن شاء الله ، متلاحقاً ، مباركاً ، متوالياً . . .

---

(١) هود ، الآية ١٢٠ .

فقد إنتهت فترة الظلمة ، أو كادت أن تنتهي ، وانقطع نفس الإستعمار والشيطان والطغاة ، وثبت أن نَفَس المؤمنين في المعركة أقوى وأطول من نَفَس الكافرين ، ذلك أن :

﴿الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [1] .

وفي نهاية هذه المرحلة القاسية من المحنة نعود الى الله تعالى لنشكره ، ونعتذر ، شكراً على ما أنعم علينا من الرحمة ، وإعتذاراً مما سبق منا في مرحلة الفتنة من الضعف ، واليأس ، والتقاعس ، والزلل ، وهو الحميد الغفور .

أجل فترة المحنة ، هي أصعب فترات التعامل مع الله ، وأشدها وقعاً على المؤمنين ، وأكثرها أخذاً وعطاءاً في التعامل معه عزّ وجلّ .

وقد سبق من المؤمنين العاملين في هذه الفترة كثير من

---

(١) البقرة ، الآية ٢٥٧ .

الـزلـل ، والضعف ، والخـوف ، وكـادوا أن يجنحـوا الى اليأس ، وكادت قلوبهم ان تميل الى الراحة والعافية ، تحت ضراوة المحنة ، وزلزلوا ، أحياناً ، وتعثـروا أحيانـاً أخرى ، وكـادوا أن يستسلمـوا لتشـكيـك المـشككـين ، وتثـبيط المثبطين ، عنـدما طـالت عليهم الفتنـة ، وبَعـدت عليهم الشُّقـة . . . ولكن الله تعـالى ثبّتهم ، وطمـأنهم ، وأمـدهم بـالقـوة والإيمـان ، وأراهم آيـاتـه البينـات ، في يقـظتهم ، وأحـلامهم ، ومسكهم من الزلـل ، وأقـالهم من عثـراتهم ، وأعـاد إليهم النـافـر من قلوبهم ، وزجـر عنهم الشيـطان ، وأبقـاهم تحت المحنة مـا تحملوا ، فـإذا نفـذ صبـرهم أعمى عنهم عيون أعدائهم واصّم اذانهم وكممَ افواههم .

ولقـد كانـوا ، برحمـة الله ، يرون الله تعـالى شاهـداً ، وسامعاً وهم تحت السياط ، فيخف عليهم وقع التعـذيب ، ويمرون أحيانـاً على مـرأى ومسمع من أعـدائهم فلا يـرونهم برحمة الله .

ولقـد كـانـوا يخطأون الخـطاة ، ويعثـرون العثـرة ، فيسـددهم الله . ولقـد كـانـوا يتـركـون عـوائلهم فـارين ، مهـاجرين ، أو مقبـوضاً عليهم بـلا مؤ ن ، ولا حيلة ، ولا رزق ، فيرزقهم الله .

ولقد كانوا يخافون في غياهب السجون ، وفي مآسي الهجرة أن تنحرف عوائلهم . او كانوا يجزعون لفراقهم ، فتعود اليهم عوائلهم أو يعودون اليهم ، فيرون أن الله تعالى قد أسبغ عليهم رحمته وحمايته وتسديده .

ولقد كانوا يهاجرون الى بلاد نائية ، يفقدون فيها الأمن ، والمال ، والأهل ، فيرزقهم الله الأمن ، والمال ، والأهل ، والأصدقاء .

ولقد كانوا يخشون على ايمانهم أن يتزلزل ، ومن أنفسهم أن يتساقطوا تحت وطأة التعذيب ، فيمدهم الله بالايمان على ايمانهم ، وبالنور على نورهم ، وبالقوة على قوتهم التي آتاهم من قبل .

ولقد كانوا يخشون ألا تتحمل أجسادهم قسوة العذاب ، فيرزقهم القوة ، والصبر ، والجلد في ايمانهم .

ولقد كانوا يخافون أن يتعرض الطاغية لاعراضهم ، فتظلّم الدنيا في أعينهم ، فيعمي الله عيون أعدائهم عن عوائلهم ، وأعراضهم ، ولا يمسونهم بسوء أو شر .

ولقد كانوا يخافون أن يتركوا من ورائهم أباء عاجزين ، وأمهات عجزة ، وأبناءاً صغاراً ، ونساءاً لا

حيلة لهم في العيش من بعـدهم ، فيعـطف الله عليهم قلوب قوم مؤمنين ، فيـواسونهم في أرزاقهم ، ويقـاسمونهم لقمة عيشهم .

الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، الحمد لله ، عدد انفاس الخلائق ، الحمد لله فوق حمد الحامدين ،والحمد لله عدد قطر الماء ، والحمد لله كلما حمد الله حامد ، وكلما سبّح الله مُسبح ، والحمد لله عدد الرمل والحصى ، والحمد لله عدد امواج البحار ، والحمد لله كلما هبَّت ريح ، والحمد لله كلما شرق شارق وكلما غرب غارب ، والحمد لله كما يحب ويرضى .

ونستغفـر الله مما سبق منـا من زلـل ، وخـوف ، وميـل الى اليأس والدنيا ، ونستغفر الله ممـا سبق منا من الخـوف ، ونستغفر الله كلّما هجس في نفوسنا هاجس إنَّ الله تعالى قد تخلّى عنا ، ونستغفر الله من حب الراحة والعافية .

نستغفـر الله من سقطات أعمـالنا ، ومن كبـائر ذنـوبنـا وصغائرها .

﴿ ربنـا لا تؤاخذنـا إن نسينا ، أو أخـطأنـا ، ربنـا ولا تحمـل علينا إصـراً ، كما حملتـه على الـذين من قبلنا ، ربنـا ولا تحملنـا ما لا طـاقة لنـا به ، وأعـف عنـا ، واغفر لنـا ،

وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين﴾[1] .

أجل شكر ، وإعتذار ، وحمد ، وإستغفار في نهاية هذه المرحلة من التعامل مع الله تعالى .

ولنقرأ معاً هذه الآيات البينات من كتاب الله تعالى ، ونختم به هذا الحديث فمسك الختام كلام الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فسبّح بحمد ربك ، واستغفره ، إنهُ كان تواباً﴾ [2] .

﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله﴾[3]

محمد مهدي الآصفي

---

(١) البقرة ، الآية ٢٨٦ .

(٢) سورة النصر .

(٣) الأحزاب ، الآية ٢٢ .